دراسة الآثار الطبية والنفسية لمخاطبة المرضى بغير لغتهم

إعـــداد

د. خالد أحمد الصالح - هيام طاهر - على المهنا - هدى محمد

هدف البحث:

إيجاد أو نفى العلاقة بين زيادة القلق النفسى وعدم الاستمرار في المتابعة والهروب من العلاج وبين عدم مخاطبة المرضى بغير لغتهم الأم بالنسبة للمرضى المصابين بالسرطان والذين يترددون للعلاج أو المتابعة في مركز الكويت لمكافحة السرطان في الفترة ما بين شهر يوليو ١٩٩٥م إلى شهر ديسمبر ١٩٩٥م.

تصميم البحث:

اعتمد التصميم على استبيان مكون من أحد عشر سؤالاً بعد ملء خمس بيانات خاصة لوصف الحالة (الاسم - العمر - مستوى التعليم - نوع العلاج - إجادة اللغة الإنجليزية).

وقد روعى في الأسئلة أن تخدم هدف البحث، كما اعتمد التصميم على اختيار عينة عشوائية عددها مائة وثمانون مريضا يراجعون في أيام مختلفة مركز الكويت لمكافحة السرطان لإصابتهم بمرض السرطان سواء كانوا في مرحلة العلاج أو المتابعة، وقد تم إعطاء كل مريض نسخة من الاستبيان وطلب منه أن يجلس في العيادة للإجابة عليه شخصياً أو بمساعدة الممرضة المسئولة، وقد استغرق جمع الاستبيان ستة شهور كما روعى في الاستبيان

المرونة بحيث يتبع كل سؤال ثلاث إجابات حتى تتسع خيارات المريض دون السماح بتشتت أفكاره.

النتائج:

إن نتائج الاستبيان أوضحت رغبة المرضى في التعامل مع طبيب يعرف لغتهم الأم، رغم أن من يمكنهم التفاهم باللغة الإنجليزية من المرضى هي ٤٨,٧٪ من العينة إلا أن ٢,٢٪ فقط هم الذين يشعرون بالراحة وهم يتعاملون باللغة الإنجليزية مع الطبيب.

كما أن نسبة التوتر الجزئى أو الكلى الذي يشعر به المريض وهو يحاول التفاهم مع طبيب لا يتكلم لغته وصلت إلى ٧٣,٣٪ كما أن الخوف التام أو الجزئى من إساءة فهم الشكوى التى يعرضها المريض لطبيب هي ٧٨,٩٪ ورغم أن من فكر كلياً أو جزئياً بعدم تكملة العلاج نتيجة لما سبق هي ٣٠٪ إلا أن الشعور بالخوف لدى المرضى من الأخطاء الطبية عندما يتعاملون مع أطباء لا يتكلمون لغتهم الأم وصل إلى ٦٠٪، والملاحظ أن ٦٥٪ من المرضى الذين شملتهم العينة لديهم ثقة أكبر بالأطباء الذين يتكلمون لغتهم، كما أن نسبة ٩٢,٨٪ من المرضى يتمنون بصورة كاملة أو جزئية أن يكون طبيبهم المعالج يحسن لغتهم الأم.

الاستنتاج:

إن الانطباع السائد أن المرضى يفضلون الأطباء الذين لا يتكلمون العربية انطباع خاطئ وربما مرجع ذلك أن هذا الانطباع متواجد في مجتمع الأصحاء دون المرضى، وهو أمر يحتاج إلى بحث علمى لتأكيده أو نفيه.

وقد كان الاستنتاج الأساسى من البحث أن من أكثر الأخطار التى تواجه مرضى السرطان زيادة القلق النفسى لديهم، والتوتر الذى يصاحب عدم مخاطبتهم بلغتهم الأم من الأطباء مما يشكل عبئا نفسيا آخر يضاف إلى أعباء المرض نفسه.

كما أن المرضى الذين لا يكملون علاجهم تكون لغة التفاهم هي أحد الأسباب المؤدية إلى فرارهم من العلاج دون إتمام علاجهم، وأخيراً إن الثقة بالأطباء الذين يتكلمون باللغة العربية ثقة كبيرة تعكس أهمية مخاطبة المرضى بلغتهم الأم.

المقدمـــة:

اللغة بلا منازع هي أوضح خصائص الجنس البشرى تميزا له ودلالة على طبيعته الفريدة، وهي ليست نظاماً لتوليد الأصوات الناقلة للمعنى بل هي مرآة للعقل وأداة للتفكير، وهي كما يقول الفليسوف الألمانى «ولهام همبولدت» صاحب نظرية الحتمية اللغوية: «إن الناس تبع في تفكيرهم وأحاسيسهم ونظراتهم للكون للعادات التى اكتسبوها من خلال ممارستهم للغة».

ورغم أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدول العربية، وهي أيضا اللغة التى يتخاطب بها مواطنوها ويستخدمونها في أمور حياتهم اليومية، إلا أنه وبسبب أن التعليم الطبى مازال في أغلب الدول العربية بالإنجليزية وهو أمر شاذ إذا قيس ببقية دول العالم، بسبب ذلك أصبح هناك انطباع بأن اللغة الإنجليزية هي اللغة التى يجب أن يتحدث بها الأطباء، وهذا الانطباع وجد صدى في نفوس الذين يشجعون استخدام الغة الإنجليزية لإحلالها محل اللغة العربية فسارعوا في توسيع دائرة استخدام اللغة الإنجليزية بحيث لم تقتصر على أماكن العلم فقط بل انتقلت إلى غرف الكشف فبدأ يتخاطب بها المرضى

سواء عرفوا اللغة الإنجليزية أم لم يعرفوها، بل إن التوجه الذي كان موجوداً في الكويت سابقاً بتعليم الأطباء والهيئة الطبية من الأجانب اللغة العربية قد أسقط من الحساب فأصبح الطبيب أو الممرضة الأجنبيان يقيمان في الكويت سنوات طويلة يعودان بعدها إلى بلديهما ورصيد كل منهما في اللغة العربية لا يتجاوز بضع كلمات، ونتساءل نحن كيف تسنى لهذا الطبيب أو تلك الممرضة التعامل مع المرضى الذين لا يجيدون غير اللغة العربية، وهم كثير - خلال تلك السنوات، فيكون الجواب: أن ذلك التعامل دفع ثمنه أولئك المرضى.إن العلماء العرب منذ زمن طويل ملأهم الرعب من هذا المصير الذى أشارت إليه نتائج البحث فسارعوا نحو الدفع في اتجاه التعريب حتى لا يأتى يوم يختار المواطن بين تعلمه للغة الإنجليزية أو دفع ثمن غير ذلك من صحته.

وفى هذا المجال ذكر الدكتور/ محمد فتحى هندى فى كتاب علم التشريح والدكتور/ أحمد حسين في كتاب لمحات طبية والدكتور/ محمود دياب في كتاب الطب والأطباء ذكروا وغيرهم كثير أهمية اللغة العربية وارتباطها بالطب سواء على صعيد الأطباء أو على صعيد المرضى.

المرضى ومواصفاتهم:

اشتملت الدراسة على عينة عشوائية بعدد ١٨٠ مريضاً راجع مركز الكويت لمكافحة السرطان للعلاج أو المتابعة جميعهم مصابون بمرض السرطان وفي مراحل مختلفة وأنماط علاج متباينة، كان منهم ٨١ ذكراً بنسبة ٤٥٪ و٩٩٪ أنثى بنسبة ٥٥٪ وقد بلغ متوسط أعمار العينة ٤٥ سنة، عدد الذين أعمارهم ٣٠ سنة فأقل ٤٠ مريضاً بنسبة ٢٢٪، وعدد الذين فوق ٣٠ سنة ودون الخمسين ٨٦ بنسبة ٤٨٪، أما الذين فوق الخمسين فهم ٥٤ مريضاً بنسبة ٣٠٪، وقد تلقى معظمهم علاجاً فعالاً ضد السرطان، وقد بلغ نسبة من

تلقى العلاج الإشعاعى فقط ٣٨ مريضاً بنسبة ٢١,١٪، ومن تلقى علاجاً كيماوياً فقط ٣٥ مريضاً بنسبة ١٩,٤٪، ومن تلقى العلاج الجراحى فقط هم ٢٢ مريضاً بنسبة ١٢,٢٪، أما من تلقى علاجاً إشعاعياً وكيماوياً فهم ١٤ مريض بنسبة ٧,٨٪، ومن تلقى علاجاً إشعاعياً وجراحياً فهم ٥٤ مريضاً بنسبة ٣٠٪، والذين أخذوا علاجاً كيماوياً وجراحياً ٧ حالات بنسبة ٣,٩٪.

كما أن تحليل البيانات للعينة المختارة يتضح مايلى:

أمي	٥٦ مريضاً بنسبة	٣١,١٪.
يقرأ ويكتب	٣١ مريضاً بنسبة	١٧,٢٪.
قبل الثانوى	٢٥ مريضاً بنسبة	١٣,٩٪.
ثانوى	٤٦ مريضاً بنسبة	٢٥,٦٪.
جامعى	٢٠ مريضاً بنسبة	١١,١٪.
عالى	٢ مريضاً بنسبة	١,١٪.

أما إجادة اللغة الإنجليزية فإن من يجيدها بصورة ضعيفة عددهم ١٦ مريضاً بنسبة ٨,٩٪، أما بصورة جيدة فهم ١١ مريضاً بنسبة ١,١٪ أما بصورة مقبولة فهم ٢١ مريضاً بنسبة ١١,١٪ أما الذين يعرفون بعض الكلمات والجمل فهم ١٣ مريضاً بنسبة ٧,٢٪ والذين لا يعرفون اللغة الإنجليزية فهم ٨١ مريضاً بنسبة ٤٥٪.

تفصيل النتائج:

كانت الأسئلة جميعها تدور حول التأثيرات المحتملة التى يمكن أن تتركها عدم مخاطبة المرضى بغير لغتهم على الحالة الصحية والنفسية للمرضى فكان أول سؤال عن حالة التوتر التى قد تصاحب المريض عندما يجلس أمام طبيب لا يعرف لغة المريض الأساسية فقد أجاب ٩٦ مريضاً

بنسبة ٥٣,٣٪ إنهم يشعرون بالتوتر، بينما أنكر ٢٥٪ شعور التوتر، وشعرت نسبة ٢٠,٦٪ بتوتر إلى حد ما.

وقد أجاب ٩١,٧٪ من المرضى بأنهم يشعرون بالراحة التامة عندما يتعاملون مع طبيب يفهم لغتهم، ونسبة ٥٪ يشعرون بالراحة إلى حد ما، بينما لا تشكل اختلاف اللغة عند ٢,٢٪ أي فارق.

وعند سؤال المرضى حول مخاوفهم من أن تساء فهم شكواهم أثناء شرحها لطبيب لا يتكلم لغتهم كانت نتائج ٦٥٪ أن يخافوا من ذلك تماماً بينما ١٣,٩٪ يخافون إلى حد ما، أما ١٨,٩٪ فهم لا يخافون من سوء فهم شكواهم.

وعند سؤال العينة المختارة بطريقة عشوائية عن تفصيلهم معرفة حالتهم من طبيب يعرف لغتهم أجاب ٩٠٪ بالقبول بينما أجاب ٢,٢٪ بقولهم إلى حد ما، وهناك ٧,٢٪ لا فرق لديهم.

وعن حالة الضيق التى يشعر بها المريض إذا غادر غرفة الكشف من طبيب لا يعرف لغته أجاب ٦٦,١٪ بأنهم يشعرون بالضيق، بينما أجاب ١٦,٧٪ بأن يشعر بالضيق إلى حد ما، وأنكر ذلك ١٦,٧٪، وعن مقدار ربط الثقة بالمخاطبة باللغة الأم أجاب ٦٥٪ أن يثقوا بمن يخاطبهم باللغة العربية، بينما أجاب ٦,٧٪ بأنهم يثقون بمن يخاطبهم باللغة الإنجليزية، ونسبة ٢٧,٨٪ لا فرق لديهم.

وعن أمنياتهم إذا دخلوا على طبيبهم المعالج أجاب ٨٢,٨٪ بأنهم يتمنون أن يكون الطبيب يعرف لغتهم. بينما أجاب ١٠٪ بأنهم يتمنون ذلك إلى حد ما، وكانت نسبة ٦,٧٪ لا فرق لديهم.

وعندما سئلت العينة عن ما إذا فكروا بترك العلاج بسبب أن الطبيب لا يفهم لغتهم، أجاب بنعم نسبة ٢١,٧٪، وأحياناً نسبة ٨,٣٪ بينما أجاب

٦٨,٩٪ بالنفى.

وعن شعورهم باحتمال الخطأ في العلاج بسبب عدم التفاهم اللغوى أجاب ٤١,١٪ إنهم ينتابهم هذا الشعور، بينما أجاب ١٨,٩٪ بأن هذا الشعور ينتابهم إلى حد ما، بينما لا ينتاب هذا الشعور نسبة ٣٨,٣٪.

وقد سئلت العينة عن إيمانها بأهمية التواصل اللغوى في العلاج والمتابعة فأجاب ٨٣,٣٪ بأهمية هذا الأمر، وأجاب ٨,٣٪ إلى حد ما، وأجاب ٧,٨٪ بعدم أهمية هذا الأمر.

وعن شعور المرضى بالظلم إذا كان في بلدهم لا يستطيعون التفاهم بلغتهم مع الطبيب أجاب ٥٧,٢٪ أنهم يشعرون بالظلم، و١٢,٢٪ إلى حد ما و٣٠٪ لا يشعرون بالظلم.

المناقشة:

إن مواصفات العينة المختارة تكشف أن معظم المرضى تعرضوا إلى نوع أو أكثر من العلاج الفعال للسرطان، وهذا يعنى أن معظمهم لديه خبرة، في قسم أو أكثر من أقسام مركز الكويت لمكافحة السرطان، فإذا كان قسم العلاج الإشعاعى فيه ٤٠٪ من الأطباء لا يحسنون اللغة العربية، والعلاج الكيماوي فيه ٧٥٪ من الأطباء لايتكلمون اللغة العربية، والعلاج الجراحى فيه نسبة ٥٠٪، يمكننا أن نثبت أن العينة لديها خبرة في التعامل والاحتكاك بالأطباء الغير متحدثين باللغة العربية والأطباء المتحدثين باللغة العربية لذا كانت إجابتهم على الأسئلة من واقع الخبرة والاحتكاك وعبرت هذه الإجابة عن صدق مافي أنفسهم وعن حقيقة آرائهم في مايتعلق بموضوع البحث.

كما أن من خلال وصف العينة المختارة وعددهم ١٨٠ مريضاً وهو رقم مقبول إحصائياً تبين أن نسبة الذين يمكنهم التفاهم باللغة الإنجليزية

بمستويات مختلفة هم ٤٧,٨٪ وهذا يعكس نسبة جيدة تخدم البحث، ورغم أن المرضى بنسبة ٤٧,٨٪ يمكنهم التفاهم مع أطبائهم الغير ناطقين باللغة العربية إلا أن هناك نسبة ٨٢,٨٪ يتمنون أن يكون الطبيب يعرف لغتهم الأم، وهذا يعكس خصوصية الشكوى الطبية التى يرغب المرضى أن يعبروا عنها بلغتهم الأساسية حتى يشعروا بالثقة من وصول المعلومة إلى الطبيب، وبالتالى بالراحة إذا تم التشخيص، لذا لا عجب أن ٦٠٪ من مرضى العينة ينتابهم شعور بشكل أو بآخر في احتمال الخطأ بالعلاج إذا عرضوا شكواهم على طبيب لا يفهم لغتهم.

كما كشف البحث أحد أسباب التهرب من المتابعة التى يعانى منها الأطباء في مركز الكويت لمكافحة السرطان، فالمعروف لدى أخصائى علاج الأورام أن برنامج المتابعة في حقل السرطان له أهمية عظيمة ويعتبر مكملاً ومتمماً للعلاج، وبدون المتابعة ربما يتعرض المريض إلى بداية رجوع للورم دون أن يشعر، وربما يدفع ثمنه حياته، وقد كشف هذا البحث أحد أسباب عدم الرغبة في المتابعة، وأيضا كشف ما هو أخطر في عدم الرغبة في تكملة العلاج الأساسى، فالضيق الذي يشعر به نسبة ٨٢,٨٪ بصورة أو بأخرى كلما خرجوا من عند طبيب لا يتكلم لغتهم تدفعهم إلى عدم المتابعة لاسيما إذا علمنا أن احتمال دخولهم على أطباء لا يتكلمون لغتهم في مركز الكويت لمكافحة السرطان أعلى من احتمال دخولهم على أطباء يتحدثون لغتهم بنسبة ٥٥٪، كما أن هناك نسبة ٣٠٪ فكروا بصورة أو بأخرى بقطع العلاج، فلا عجب أن يكون هناك قصور في متابعة المرضى، ولا عجب أن هناك مرضى لا يكملون علاجهم.

مصادر البحث

١- عالم المعرفة. عدد

٢- علم التشريح للرياضيين. د. محمد فتحى هندى

٣- الإنسان وعلم الحيوان. د. أحمد حسين القفل

٤- الطب والأطباء. د. محمود دياب

٥- السرطان.